The Accusation of Eve Between the Qur'anic Text and Hadith :Narratives and Its Impact on the Differences Among Interpreters An Analytical Comparative Study

Jaafar Najmadin Ali Gwani
Department of Preaching and Religious Media, College of Islamic Sciences,
Salahaddin University-Erbil

DOI: https://doi.org/10.31918/twejer.2692.12

Published: 5/4/2026

Abstract

This research, entitled "The Accusation Against Eve: Between the Qur'anic Text and Hadith Narrations and Its Impact on the Differences Among Interpreters", addresses the issue of accusing Eve of the first sin in light of the Qur'anic text and hadith narrations, and examines how this accusation has influenced the differing interpretations of the Holy Qur'an among scholars. The research problem lies in verifying the truth of the claim that Eve initiated the act of eating from the tree and tempted Adam, and in assessing the extent to which this accusation is valid in light of the Qur'an and Prophetic narrations. The study also explores the impact of this accusation on the disagreements among exegetes and on the use of certain narrations to attack religions or distort the image of women. The importance of this research lies in clarifying the reality of this accusation, contributing to a fair reading of the texts, and correcting interpretive perceptions influenced by certain narrations as well as by intellectual and social environments, particularly concerning Eve's role and the status of women in Islamic discourse. The research employs a comparative analytical method. The study demonstrated that the sin was shared by both Adam and Eve, and that repentance was also mutual, while affirming that the Qur'an does not indicate that Eve initiated the sin. As for the Prophetic tradition, although a hadith with a sound chain of transmission exists, scholars interpret it as describing a general human inclination, representing a foundational aspect of the struggle between right and wrong and the basis of human conflict in the development of civilization. The hadith does not constitute a moral or religious accusation. The research further showed that most exegetes did not rely on this hadith when interpreting the story of Adam and Eve or determining who initiated eating from the tree, and that the notion of Eve tempting Adam was influenced by Israelite traditions and by the cultural contexts of the commentators rather than by Qur'anic or hadithic texts. The research concluded that Islam is fair toward women, making responsibility for the first sin a shared human responsibility without distinction between men and women. The research consisted of three sections: The first sin in the Qur'an and Prophetic narrations. The approaches of commentators in relying on narrations and the influence of intellectual and social environments. Eve's innocence and the accusation against her in light of the Qur'anic context.

Keyword: *Eve, Adam, the story of Adam and Eve, first sin, Quranic text.*

اتّهام حوّاء بين النّصّ القرآني والمرويّات الحديثيّة وأَثَرُهُ في اختلاف المفسّرين (دراسة تحليليّة مقارنة)

أ.م.د. جعفر نجم الدين علي گواني
قسم الخطابة والإعلام الديني/ كلية العلوم الإسلامية/ جمعة صلاح الدّين
Jaafar.Ali@su.edu.krd

ملخّص البحث

هذا البحث الموسوم بـ(اتّهام حوّاء بين النّصّ القرآني والمرويّات الحديثيّة وأَثَرُهُ في اختلاف المفسّرين) تناول قضيّة اتّهام حوّاء بالمعصية الأولى في ضوء النّصّ القرآني والمرويّات الحديثيّة، وأثر هذا الاتّهام في اختلاف تفاسير العلماء للقرآن الكريم. ومشكلة البحث هي التّحقّق من حقيقة الاتّهام الموجَّه إلى حواء بأنها بادرت بالأكل من الشّجرة وأغوت آدم، ومدى صحّة هذا الاتّهام في ضوء القرآن والمرويّات النّبويّة، مع بيان أثر ذلك في اختلاف المفسّرين واستعمال بعض الرّوايات للطّعن في الأديان أو في صورة المرأة. وأهمية البحث في توضيح حقيقة هذا الاتّهام، بما يساعد على قراءةٍ منصفةٍ للنّصوص وتصحيح بعض التّصوّرات التّفسيريّة المتأثّرة بالرّوايات والبيئة الفكريّة والاجتماعيّة حول دور حواء ومكانة المرأة في الخطاب الإسلامي. واعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن. وبيّن البحثُ أنّ المعصية كانتْ مشتركةً بين آدم وحوّاء، وأنّ التّوبة كانت أيضًا مشتركة، مع نفي وجود إشارةٍ قرآنيّةٍ إلى مبادرةِ حواء بالذّنب. أمّا الحديث النّبويّ فقد ورد في ذلك حديثٌ صحيحُ السّند، غير أنّ العلماءَ أوّلوه على أنّه وَصْفٌ لطبيعةٍ بشريّةٍ عامّةٍ كَلَبِنَةٍ أوّليّةٍ لِتأسيسِ طبيعةِ الصّراع بينَ الصّوابِ والخطإ ووضع التّدافع للإنسان أساسًا في إعمار الأرْض، وليس الحديْثُ اتّهاما أخلاقيًّا أو دينيًّا. وقد أظهر البحثُ أنَّ أغلب المفسّرين لم يعتمدوا على هذا الحديث في تفسير قصّة آدم وحوّاء وبيان من هو المتبادر إلى الأكل من الشّجرة، وأنّ فكرة إغواء حوّاء لآدم تأثّرتْ بالموروثِ الإسرائيلي والثّقافة المحيطة بالمُؤَلِّفِيْنَ لا بنصٍّ قرآنيّ وحديثيّ. وخلص البحثُ إلى أنَّ الإسلامَ أنصف المرأة، وجعل المسؤولية في المعصية الأولى مسؤوليّة إنسانيّة مشتركة، لا تمييز فيها بين الرّجل والمرأة. وتكوّن البحث من ثلاثة مباحث: (المبحث الأول: المعصية الأولى بين القرآن والمرويّات النّبويّة. والمبحث الثّاني: اتّجاهات

المفسّرين في الاعتماد على المرويّات وأثر البيئة الفكريّة والاجتماعيّة فيهم. والمبحث الثّالث: براءة حوّاء واتّهامها في ضوء السّياق القرآني).

الكلمات الرّئيسة: **حواء، آدم، قصّة آدم وحواء، المعصية الأولى، النّصّ القرآني**

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد،

إنّ قضيّة حقوقِ المرأة وصونِ كرامتها تُعَدّ من أبرز القضايا المطروحة في العصر الحديث، على الصّعيدين المَحَلّي والدّولي، كما شغلتْ حيّزًا واسعًا في المؤتمرات والبرامج الإصلاحيّة، وشكّلتْ محورًا للاتّهامات المتبادلة بين الحكومات والمنظّمات بشأن انتهاك حقوق المرأة. وهذا كلّه يؤكد أنّ الحديث عن شؤون المرأة يظلّ حاضرًا ومتجدّدًا باستمرارٍ، ولا سيّما في سياق الإسلام، إذ كثيرًا ما تُتَّخذ هذه القضايا وسيلةً للطّعن في تعاليمه والتقليل من مكانته.

ومن القضايا الّتي تتكرّرت إثارتها قضيةُ اتّهام المرأة بأنّها أصلُ التمرّد على أمر الله تعالى، والسببُ الأوّلُ في ارتكاب الذّنب، وذلك بالاستناد إلى ما نُسِب إلى حوّاء من المبادرة إلى الأكل من الشّجرة، ثمّ إغوائها آدم لفعل ذلك. وقد استدلّ بعضهم بحديثٍ صحيح رواه البخاري ومسلم: «ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها» (البخاري 1993، 1212/3 (3152)) و (مسلم 1955، ١٠٩٢/2 (١٤٧٠)). ونتيجة لذلك انقسم الباحثون بين مَنْ رَأَى أنّ في الإسلام ازدراءً لكرامة المرأة، ومَنْ طَعَنَ في الحديث الصحيح المؤيّد لهذا الفهم ظاهرًا، ومَنْ قبله مع تأويله بما يبرّئ حوّاء.

وحظي هذا الموضوع بالبحث والمتابعة في المجال الأكاديمي، وكُتِبَتْ فيه دراساتٌ عديدةٌ من زوايا مختلفة، خصوصًا فيما يتعلّق بمعنى الخيانة. غير أنّ هناك فراغًا علميًّا يخصّ مسألة تأثير هذا الحديث في اختلاف المفسّرين حول ما إذا كانت حوّاء هي التي بادرتْ بالأكل أم لا. فالمفسّرون يعتمدون أساسًا على الأحاديث الصحيحة في تفسير الآيات، فإذا كان الحديث المذكور يدلّ على هذا المعنى وجب تفسير القرآن به، كما هو دأب المفسّرين قديمًا وحديثًا، ولا سيّما في منهج التّفسير بالمأثور. أمّا إذا لم يُعتمد عليه، أو لم ينشأ الخلاف عبره، فهذا يعني أنّ المفسّرين لم يعدّوه تفسيرًا مباشرًا وصريحًا للآية الكريمة.

وتكمن أهميّة هذا البحث في إبراز جانبين وثيقي الصّلة بحياتنا اليوميّة: أوّلهما بيان مدى مشروعيّة الادّعاء القائل بأنّ القرآن الكريم يُحمّل المرأةَ مسؤوليّةَ ارتكابِ الذّنوب، وثانيهما السّعي إلى تبرئة المرأة من هذه التّهمة على نحوٍ ينسجم مع هدي الكتاب العزيز والسنّة المطهّرة.

الدراسات السّابقة:

تناولت دراساتٌ أكاديميّةٌ متعدّدةٌ قصّةَ آدم وحوّاء، لا سيّما في إطار المقارنة بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس حول مسألة الأكل من الشّجرة ومَنْ هو المسؤول عن المبادرة إليه، غير أنّ أقرب الدّراسات إلى هذا البحث ممّا تمّ الوقوف عليه ما يأتي:

- **حديث لولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها الدهر**- محمد أبو الليث الخيرآبادي. فلم يتحدّث عن التّفاسير وإنّما بقي في إطار معنى الحديث ومطابقته للقرآن أو مخالفته له وحلِّ مشكلة المخالفة، دون التّطرّق إلى دوره في اختلاف المفسّرين (الخيرآبادي 2011، 34).
- **حوّاء في اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام دراسة مقارنة**، د. مصطفى عبد العظيم أحمد، فلم يذكر الحديث جملة وتفصيلا (أحمد 2019، 203).
- **حوّاء والخطيئة في التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم**، د. فتنَتْ مسّيكة برّ، فهي أيضا لم تذكر الحديث واكتفتْ بالقرآن الكريم دون التطرّق إلى تفسيره بالحديث الشّريف.
- **خطيئة حوّاء في الأديان السماويّة ومكانة المرأة** - أية علاقة، للباحثة فاطمة المعصار بالاشتراك مع د. محمد الزهير، فلم يتحدّثا عن الحديث النّبويّ، واكتفا بما ورد في القرآن الكريم من نفي اتّهام حوّاء (المعصار و الزهير 2018، 18).
- **قصة آدم عليه السلام بين المفسّرين وعلماء نقد الكتاب المقدس"** (تفسير الطبري أنموذجًا دراسة تحليليّة نقديّة)، للباحثة رانيا محمد عزيز نظمي، فلم تذكر الحديث النّبويّ ولم تتطرّق إلى دوره في اختلاف المفسّرين (نظمي 2024، 59).
- **نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث "لولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً**، للباحثة نماء محمد البنا، فركّزت على الحديث ومنهجية التّعامل معه دون التّطرّق إلى تفسير العلماء للآية بالحديث (البنا 2012).

يتميّز هذا البحث عن الدراسات السّابقة بأنّه يدخل الموضوع عبر اختلاف المفسّرين في اتّهام حوّاء وبرائتها انطلاقا من اعتمادهم على الرّوايات النّبويّة، وهذه الميزة تعطي قوّةً لمدى ربط مفهوم تلك الرّوايات بالمفهوم القرآني وتفسيره بها، كما حاول البحثُ جمع خلاصة تلك الدّراسات في زوايا هذا البحث.

سؤال البحث

يدور سؤال البحث حول: هل اعتمد المفسّرون على الرّوايات النّبويّة الموهمة مبادرةَ حوّاء في الأكل من الشّجرة وإغوائها آدم؟، فإذا اعتمدوا عليها فكيف يمكن التّوفيقُ بين الاتّهام الحديثي والتّبرئة القرآنية لحوّاء؟ وما السّبب فيما إذا لم يعتمدوا عليها أو قلّ اعتمادهم؟

مشكلة البحث

التّحقّق من أصل الاتّهام الموجَّه إلى حوّاء بالمبادرة إلى الأكل من الشّجرة وإغواء آدم عليه الّسلام، ومدى صحّة هذا الاتّهام في ضوء النّصّ القرآني والمرويّات النّبويّة، مع بيان أثر ذلك في اختلاف المفسّرين وتوظيف بعض الرّوايات للطّعن في الأديان أو في صورة المرأة.

أهميّة البحث

تكمن أهمية هذا البحث في بيان حقيقة نسبة المعصية الأولى إلى حوّاء بين القرآن والمرويّات النّبويّة، وكشف أثر المرويّات والبيئة الفكريّة والاجتماعيّة في تشكيل مواقف المفسّرين وتوجّهاتهم، بما يُسهم في قراءة النّصوص الدّينيّة قراءةً علميّةً منصفةً ومتوازنة، تُظهر عدالة الخطاب الإسلامي وموقفه الموضوعي من المرأة، وتُسهم في تصحيح التّصوّرات المتوارثة حول دور حوّاء في المعصية الأولى.

منهج البحث

المنهج المتَّبع في هذا البحث هو المنهج التحليلي المقارن؛ وذلك عبر تحليل مسألة اتّهام حوّاء ومبادرتها إلى ارتكاب المعصية الأولى في ضوء كلٍّ من القرآن الكريم والحديث الشريف، ثمّ إجراء المقارنة بين التّحليلين. واستقراء مواقف المفسّرين في اعتمادهم على الحديث المذكور، مع اختيار نماذج مقارنة من الفريقين: مَنْ فسّر الآية انطلاقًا من الحديث الشريف، ومن لم يلتفت إليه، ثمّ بيان أثر البيئة الفكريّة والاجتماعيّة في توجيه تلك التّفسيرات.

بعد التّحليل والمقارنة، يتناول البحثُ الموقفَ الأمثل من مسألة تبرئة حوّاء أو اتّهامها، عبر دراسة دورها في سياق المعصية الأولى، والكشف عن الإنصاف القرآني في معالجة المعصية ومرتكبيها، ثمّ تحرير دلالة الأحاديث الواردة في ضوء النصّ القرآني.

خطّة البحث:

المبحث الأوّل: المعصية الأولى بين القرآن والمرويّات النّبويّة

المطلب الأوّل: قصّة المعصية الأولى في القرآن الكريم.

المطلب الثّاني: المرويّات النّبويّة المتعلّقة بالمعصية الأولى.

المطلب الثّالث: المقارنة بين ما قرّره القرآن وما ورد في الحديثين فيما يتعلّق بالمعصية الأولى.

المبحث الثّاني: اتّجاهات المفسّرين في الاعتماد على المرويّات وأثر البيئة الفكريّة والاجتماعيّة فيهم.

المطلب الأوّل: اتّجاهات المفسّرين في الاعتماد على المرويّات.

المطلب الثّاني: أثر البيئة الفكريّة والاجتماعيّة في تعزيز اتّهام المرأة أو تبرئتها.

المبحث الثّالث: براءة حوّاء واتّهامها في ضوء السّياق القرآني

المطلب الأوّل: تحليل دور حوّاء في سياق المعصية الأولى.

المطلب الثّاني: الإنصاف القرآني في قصّة المعصية: رفع الاتّهام عن حوّاء وتحديد المسؤوليّة.

المطلب الثّالث: تحرير دلالة الأحاديث في ضوء براءة حوّاء واتّهامها في ضوء السّياق القرآني.

الخاتمة

المبحث الأوّل: المعصية الأولى بين القرآن والمرويّات النّبويّة

المطلب الأوّل: قصّة المعصية الأولى في القرآن الكريم.

وردت قصّة المعصية الأولى في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع تتعلّق بقصّة آدم عليه السلام وخلقِه ودخولِه الجنّة وإخراجِه منها بسبب معصيةٍ ارتكبَها ثمّ هبوطه إلى الأرض. وذلك في سورة (البقرة/ 35-37) وسورة (الأعراف/ 19-24) وسورة (طه/ 116-122). وفيما يلي عرض هذا الجزء من القصّة كاملا من بداية الأمر وإلى نتيجة زلّة عصيان الأمر.

لمّا خلق الله تعالى آدم وأمر الملائكة بالسّجود له فسجدوا إلاّ إبليس أبى واستكبر، وخلق سبحانه وتعالى زوجة آدم حوّاء، وأمره أن يسكن هو وزوجته الجنّة وأن يستمتعا بما فيها من العيش الواسع الميسور الهنيئ فيأكلان ما يشتهيان من ثمرها (طبارة 1980، 37) ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: 35]، وضمن له استمرار الطّعام والشّراب، والكسوة، والماء، وعدم التّعب والنّصب ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ 118 وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: 118-119] (السعدي 2000، 514)، ونهاهما عن أكل شجرةٍ فقط ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: 35]، واقتصر النّهي الإلهيّ على شجرةٍ محدَّدة، حيث ورد الأمرُ بعدم الاقتراب منها أو الأكل

من ثمرتها، وذلك ضمن سياق الابتلاء والاختبار الإلهي للإنسان في الجنّة بدليل قوله تعالى في بيان نتيجة الأكل منها: ﴿فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 35]، ولا سيّما أنّ الله سبحانه وتعالى حذّر آدم وزوجته من إبليس المتمرّد على أمر الله سبحانه وتعالى بعدم السّجود، فوجّه سبحانه وتعالى الخطابَ إلى آدم وزوجته تباعًا، تحذيرًا وإرشادًا: إنّ هذا عدوٌّ لك ولزوجِك، فاحترسا منه، فلا يكنْ سببًا في إخراجكما من الجنّة، فتنتقلا من نعيمها إلى متاعب الدّنيا التي لا تكاد تُحصى، وتشقيا بكثرة التّعب والنَّصَب فيها (لجنة 1993، ١٠٧٤/6) فقال: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 117]، وهنا بدأ إبليسُ بإغواء آدم وزوجه عن طريق الوسوسة، وهي دعوةٌ خفيّةٌ غير معلنة بإيهام النّصح (الماوردي 1992، 209/2)؛ إذ كان يعلم أنّ آدم مُنتبهٌ لتحذير الله سبحانه وتعالى من إغوائه، فحاول صرفه عن أمر الله بما يُخفيه من خداعٍ ومكرٍ مستترٍ ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: 20]، وركّز على آدم عليه السّلام أكثر من زوجته ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [طه: 120]، وكان غرض إبليس من الوسوسة أن يظهر ما ينبغي ستره من العورة ﴿لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [الأعراف: 20]، وهذا الإظهار كِنَايَةٌ عَنْ سُقُوطِ الْحُرْمَةِ وَزَوَالِ الْجَاهِ، وغَرَضُهُ مِنْ ذلك زَوَالُ حُرْمَتِهِ وَذَهَابُ مَنْصِبِهِ. أمّا إذا لم يكن الشيطان قد قصد بوسوسته إظهارَ عورتهما، ولم يكن عالمًا بأنّهما إنْ أكلا من الشّجرة ستنكشف عوراتهما، وإنّما كان مقصوده الأصلي أن يحملهما على المعصية، فإنّ لام التعليل في قوله تعالى: (لِيُبْدِيَ لَهُمَا) تُحمل حينئذٍ على العاقبة، ويكون المعنى: أنّ انكشاف عوراتهما جاء نتيجةً وعاقبةً لتلك المعصية، لا أنّه كان مقصودًا للشّيطان ابتداءً (الواحدي 1430هـ، 62/9) و (الرازي 1982، ٢١٨/14).

وبما أنّ الوسوسة إغواءٌ غيرُ مباشرٍ، ظهر إبليسُ في صورة ناصحٍ أمينٍ، وبدأ ببيان سبب منعهما من أكل الشّجرة ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف: 20] ، وأوهم آدمَ وزوجَه بأنّ النّهي الإلهيّ عن الأكل من الشّجرة لم يكن إلا لكراهة أن يصيرا مَلَكَين، أو أن يدخلا في عداد الخالدين الّذين لا يذوقون الموت، أو يخلدون في نعيم الجنّة (البيضاوي 1418هـ، 8/3). وأكّد أنّ الأكل من هذه الشّجرة بعينها سيُحقّق لهما الخلودَ في ذاتهما، ويُثبّت مُلكهما، ثمّ خاطب آدم عليه السلام مستعمِلًا هذا الادّعاء ليحمله على الإقدام على ما نُهي عنه، و﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: 120]، وكي لا يتردّد آدم وحوّاء عليهما السلام في قبول مشورته ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: 21] وحلف لهما على صدق قوله في خبره ونصحه في مشورته، مستعينًا باليمين كوسيلةٍ بلاغيّةٍ لإضفاء المصداقيّة على دعواه، وليُوهِمَهُما أنّ ما يُقدّمه لهما من نصيحةٍ يَنبع من الحرص والإخلاص (الماوردي 1992، ٢١٠/2).

اعتمد إبليس على أسلوب الإغراء والخداع عبر إظهار النّصيحة والإطماع في الحصول على المَلَكيّة أو الخلود، واستدرج بذلك آدم وزوجه واستزلّهما إلى الأكل من الشّجرة مستعينًا بالقسم لإضفاء المصداقيّة على خداعه وإقناع آدم وزوجه بصحته (أبو حيان الأندلسي 2000، 26/5)، وأخيرا ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾ [الأعراف: 22]، وانخدعا حتّى ظنّا أنّ المنزلة الّتي طمعا فيها بأكل الشّجر أعلى من الجنّة، ولم يشعرا أنّهما بذلك نزلا إلى منزلةٍ أدنى، ولاسيّما أنّهما لم يتصوّرا الكذب في القسم بالله تعالى (الخالدي 2010، 41).

على أثر ذلك، نسي آدم عداوة إبليس وما أوصى الله به، ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا﴾ [طه: 115] وأكل ولم يقصد المخالفة استحلالًا، لكنّه اغترّ بحلف إبليس (إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ)، وتوهّم أنّ أحدًا لا يحلف بالله كاذبًا، فقيل إنّه نسي ولم ينو المخالفة، ولذلك قال: (لَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا)، أو أنّه أكل من الشّجرة متأوّلًا أنّ المنهيّ عنها شجرةٌ بعينها لا جنس الشّجرة (الخازن 1415هـ، ٢١٦/3). وانخدع كلٌّ من آدم وزوجته ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾ [طه: 121]. وبعد الأكل ظهرتْ منهما أماراتُ العصيان على أمر الله تعالى والخنوع لوسوسة إبليس بالغرور؛ ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا﴾ [الأعراف: 22] فبانتْ لهما عورتاهما، إذ لم يكن أيٌّ منهما قبل ذلك يُبصر عورته أو عورة صاحبه (طبارة 1980، 38)، وهنا تقرّر أمر العصيان على آدم وذلك حينما دنا من الشّجرة وتناول منها، فاقترف بذلك إثمًا وزاغ عن طريق الرّشد، أو غفل، وأهمل ما عهده الله تعالى إليه، فوقع في الخطأ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121]، وفعل الماضي في قوله تعالى: (وَعَصَىٰٓ) يدلّ على أنّ ذلك ورد مرّةً واحدةً وانتهى (الهلال 2022، 150/7).

وفي أولى محاولةٍ عمليّةٍ لتغطية ما ظهر منهما وإخفائهما إيّاه، تداركا وأخَذا يَشُدَّانِ ورقةً فوق ورقةٍ على عوراتهما ليَستترا بها (ابن الجوزي 1422هـ، 108/2) و (كمال باشا 2018، 28/4) كما قال تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾ [الأعراف: 22]. وأخيرا إنّ إبليس بدعائهما وتزيين المعصية لهما، جذبهما إلى سبب الزّلّة والإخراج عمّا هما فيه من نعيم الجنّة (الماوردي 1992، 427/1)، كما قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [البقرة: 36].

نظرا لأنّ مسار الصّراع بين بني آدم وإبليس وأعوانه ممتدٌّ عبر الزّمن، وكانت حادثة آدم عليه السلام بمثابة النّواة الأولى لذلك الصّراع، فقد أرى اللهُ تعالى المشهدَ لآدم بتجربةٍ عمليّةٍ، ليُهيّئه وذريّته للقيام بعمارة الأرض، ويُعلّمهم كيفيّة مواجهة قوى الشّرّ والفساد، وأبان لهم أنّ الطبيعةَ البشريّةَ معرّضةٌ للنّسيان والعصيان، غير أنّ الواجب عليهم ألّا يقودهم ذلك إلى القنوط، بل إلى بذل الجهد لتجنّب مهاوي

الذّنوب والمعاصي، فإنْ وقعوا فيها، وجب عليهم المبادرة إلى التّوبة قولًا وعملًا، وتعويض النّقص بالأعمال الصّالحة.

يتبيّن من ذلك أنّ الله جلّ وعلا ذكّرهما ابتداءً بنهيه عن الإقدام على أكل الشّجرة، ثمّ نبّههما ثانيةً إلى ضرورة التيقّظ والحذر من عدوّهما اللّدود ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [الأعراف: 22]، وعليه، فإنّ المنهج الرّبّاني لخلافة الإنسان وعمارة الأرض يقتضي الالتفات إلى القيام بالواجبات، واجتناب المحرّمات، والحذر من الانقياد لوساوس الشّيطان.

ولا بدّ من الاعتراف بالخطإ، وذلك عبر كلماتٍ دالّة على النّدم والرّجوع عمّا اقْترفا، فعلّمهما الله سبحانه إيّاها، ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: 37]، والكلمات هي أنّهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]، ويُعدّ الإقرار بالذّنب والنّدم عليه المرحلةَ الأولى من مسار التّوبة، وقد وُفّق آدمُ لذلك، فاختاره ربُّه واصطفاه بعد معصيته، فأنعم عليه بالرّجوع إلى ما يُرضيه، والالتزام بطاعته، وكانت تلك توبتَه التي قبلها الله منه (الطبري 2001، 190/16) قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122].

بهذه الخاتمة انتهت المرحلة الأولى من مراحل الابتلاء، لتبدأ معها المرحلةُ الثّانية في مسيرة آدم وذريّته، في إطار صراعٍ مستمرٍّ ﴿بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ﴾ [طه: 123]. وقد حُسمت النتيجة منذ البداية، فمَن استمسك بهدى الله تعالى؛ فلا خوفَ يلحقه ولا حزن يعتريه، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: 38]. وهكذا كما بدأت الرحلة على هذه الأرض، فيها يكون القرار الأخير: ﴿قَالَ فِيهَا تَحۡيَوۡنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنۡهَا تُخۡرَجُونَ﴾ [الأعراف: 25].

المطلب الثاني :المرويّات النّبويّة المتعلقة بالمعصية الأولى

تبيَّن في ضوء البحث والاستقراء في مصادر الحديث أنّ الأحاديث الواردة بشأن قصّة آدم وحوّاء والمعصية الأولى قليلة العدد؛ إذ لم يَعثر الباحثُ إلا على حديثين فقط جمعا بين (آدم وحوّاء والمعصية الأولى)، وهما:

أوّلاً: قال النبي (صلّى الله عليه وسلّم): "لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْنَزِ اللَّحْمُ، وَلَوْلَا حوّاء لَمْ تَخُنْ أُنْثَى زَوْجَهَا" (البخاري 1993، 1212/3 (٣١٥٢)) (مسلم 1955، 1092/2 (١٤٧٠)). هذا الحديث صحيحٌ ورد في صحيحي البخاري ومسلم. ومعنى لم (يخنَزِ اللّحمُ) لم يتغيّر ولم ينتن؛ لأنّهم أوّل من جمعوا اللّحم وادّخروه، ففسد وأنتن. كما أنّ حوّاء أوّل من خانَتْ زوجَها بتحريضها آدم على ارتكاب

الذّنب (المباركفوري 1999، 427/2). وفي هذا البحث يتّضح معنى الخيانة وحقيقة مبادرتها إلى المعصية وتحريض زوجها عليها.

ثانيًا: عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): "إِنَّ أَبَاكُمْ آدَمَ كَانَ طُوَالًا كَانَ كَالنَّخْلَةِ السَّحُوقِ، سِتِّينَ ذِرَاعًا كَثِيرَ الشَّعْرِ مُوَارَى الْعَوْرَةِ فَلَمَّا أَصَابَ الْخَطِيئَةَ فِي الْجَنَّةِ خَرَجَ مِنْهَا هَارِبًا فَلَقِيَتْهُ شَجَرَةٌ فَأَخَذَتْ بِنَاصِيَتِهِ فَحَبَسَتْهُ فَنَادَاهُ رَبُّهُ تَعَالَى: أَفِرَارًا مِنِّي يَا آدَمُ؟ قَالَ: لَا بَلْ حَيَاءً مِنْكَ بِمَا جَنَيْتُ، فَأُهْبِطَ آدَمُ إِلَى الْأَرْضِ فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ بَعَثَ اللَّهُ عز وجل إِلَيْهِ مِنَ الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ بِكَفَنِهِ وَحَنُوطِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُمْ حوّاء ذَهَبَتْ لَتَدْخُلَ دُونَهُمْ فَقَالَ: خَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَ رُسُلِ رَبِّي مَا أَصَابَنِي الَّذِي أَصَابَنِي إِلَّا فِيكِ وَلَا لَقِيتُ الَّذِي لَقِيتُ إِلَّا مِنْكِ..." (أبو الشيخ الأصبهاني 1408هـ، ١٥٥٦/5).

لم يرد في الحديث تفصيلٌ عن القصّة، وإنما اكتفى بما يشير إلى أنّ آدم عليه السلام حمّل حوّاء مسؤولية وقوعه في المعصية بأكل الشّجرة، وأنّ ما أصابه إنّما كان بسببها. وهذا الجزء المتعلّق بتحميل حواء من قول آدم عليه السلام (خَلِّي بَيْنِي وَبَيْنَ رُسُلِ رَبِّي مَا أَصَابَنِي الَّذِي أَصَابَنِي إِلَّا فِيكِ وَلَا لَقِيتُ الَّذِي لَقِيتُ إِلَّا مِنْكِ) لم يرد في كتب الحديث، ولم يعلّق أحدٌ على صحّة القول الّذي وجّهه آدم إلى حواء، وإنّما ذكره أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب (العظمة ١٥٥٦/5) و (الخرائطي 1999) في كتاب (مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها/ 110). وهذا الحديث -علاوة على عدم وروده في كتب الحديث- فهو بذاته محلّ إشكال؛ إذ في سنده محمّد بن إسحاق، عن الحسن ابن ذكوان، وفيهما مقالٌ (السيوطي، 2005، 427/2)، وذكر الإمام (الذهبي 1963) حالهما في كتابه (ميزان الاعتدال في نقد الرجال 489/1 و468/3). وهذا يؤكّد عدم صحّة هذه الجزئية من الحديث، كما أنّها تخالف نصّ القرآن الكريم القائل بمشاركة آدم وحواء في المعصية، وسيأتي التفصيل.

المطلب الثالث :المقارنة بين ما قرّره القرآن وما ورد في الحديثين فيما يتعلّق بالمعصية الأولى.

يلاحَظُ فرقٌ في المعصية بين القرآن الكريم والحديث من عدّة وجوهٍ:

أوّلًا: من حيث التفصيل: فإنّ القرآن الكريم عرض القصّة بشكلٍ أكثرَ شمولًا ووضوحًا، بينما اكتفى الحديث الشّريف في الرّواية الأولى بالإشارة إلى نسبة الخيانة إلى حوّاء دون بيان طبيعة هذه الخيانة أو كيفية حدوثها. أمّا الرّواية الثّانية، فقد اقتصرت على تحميل آدم حوّاء المسؤوليةَ عمّا أصابه، دون توضيح طبيعة ما أصابه أو الجانب الذي تسبّبتْ فيه، نظرًا لأنّ الواقعة حدثتْ في الدّنيا بعد الهبوط بسبب المعصية، أي أنّ موضوع المعصية كان قد انتهى في ذلك الوقت، بينما القرآن الكريم عرض القصّة بالتفصيل في كلّ ما يقتضيه المقامُ كما سبق شرحُه.

ثانيًا: من حيث نسبة المعصية: فإنّ القرآن الكريم نسب المعصية إلى آدم وحوّاء معًا؛ إذ قال: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ [طه:121]، ثمّ اعترفا بالذّنب بصيغة التثنية: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف:23]. فالمعصية مشتركةٌ، والمسؤولية موزّعةٌ بالتّساوي، ولم ينفرد أحدُهما باللّوم. أمّا الحديث النّبويّ فيظهر فيه تحميل حوّاء جزءًا أكبر من المسؤوليّة؛ ففي الصّحيحين: "ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها"، وفي حديث الأصبهاني: "ما أصابني الّذي أصابني إلّا فيك"، أي أنّ آدم حمّلها سبب زلّته. هذا إذا وافقنا على تفسير الخيانة بالمعصية الأولى.

ثالثًا: من حيث طبيعة المعصية: فصرّح القرآن الكريم بماهيتها وطبيعتها من أنّها عبارةٌ عن عصيان أمر الله بالأكل من الشّجرة، وهو زللٌ عارضٌ، ناتجٌ عن نسيانٍ وضعفٍ عزيمةٍ: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ... فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ [طه:115]. فالذّنب هنا ليس تمرّدًا أصليًّا، بل ضعفًا إنسانيًّا قابلًا للتّوبة. أمّا الحديث فلم يوضّحها بل توقّف عند نسبة الخيانة لحوّاء كجذرٍ لخطايا النّساء، دون بيانٍ لتفاصيلِ ماهيتها وطبيعتها.

رابعًا: من حيث نتيجة المعصية، أوضح القرآن الكريم مباشرةً أنّ المعصية كانت سببًا للهبوط إلى الأرض: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا﴾ [البقرة:36]، وأنّها زلّة عابرةٌ أعقبتْها التوبةُ والاصطفاء: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه:122]. أمّا الحديث الشّريف فلم يُشِرْ إلى شيءٍ من ذلك، واكتفى بآثار المعصية على مستوى علاقة آدم بحوّاء (اللوم)، وعلى المستوى النّفسي (الحياء والهرب)، دون تفصيل لمسار التّوبة أو عودة الاصطفاء.

المبحث الثاني: اتّجاهات المفسّرين في الاعتماد على المرويّات وأثر البيئة الفكريّة والاجتماعيّة فيهم

المطلب الأول: اتّجاهات المفسّرين في الاعتماد على المرويّات

هناك اتّجاهان رئيسيّان بين المفسّرين في الاعتماد على هذه المرويّات:

الاتّجاه الأوّل: المفسّرون الذين لم يعتمدوا على هذه المرويّات في بيان المعصية الأولى.

هناك من المفسّرين قديمًا وحديثًا مَنْ لم يتأثّر بالمرويّات النّبويّة التي تُفسّرُ على اتّهام حوّاء بالمبادرة في أكل الشّجرة وتحريض آدم على ذلك، ولا نلتفت إلى ذكر الإسرائيليات المتعلّقة بالمعصية الأولى في تفاسيرهم فالإسرائيليات خارجَ إطار البحث. وفيما يلي عرضٌ لعددٍ من هؤلاء المفسّرين.

أ/ الّذين لم يذكروا الرّوايات النّبويّة مطلقا لا في تفسير المعصية الأولى ولا في غيرها، منهم: مُقاتل بن سليمان (ت 150هـ) وأورد نصّ الحديث كجزءٍ من كلامه، دون نسبته إلى النّبيّ (البلخى 1423هـ، 36/3)، والطّبري (ت 310هـ)، وابن أبي حاتم (ت 327هـ)، والماتريدي (ت 333هـ)، وابن أبي

زَمَنِين المالكي (ت 399هـ)، والماوردي (ت 450هـ)، والواحدي (ت 468هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ)، والسّمعاني (ت 489هـ)، والرّاغب الأصفهاني (ت 502هـ)، والزّمخشري (ت 538هـ)، وابن عطيّة (ت 542هـ)، وابن الجوزي (ت 597هـ)، والفخر الرّازي (ت 606هـ)، والعزّ بن عبد السلام (ت 660هـ)، والقرطبي (ت 671هـ)، والبيضاوي (ت 685هـ)، وأبو البركات النّسفي (ت 710هـ)، والنّيسابوري (ت 728هـ)، وأبو حيّان الأندلسي (ت 745هـ)، وابن كثير (ت 774هـ)، وابن عادل الحنبلي (ت نحو 775هـ)، والثّعالبي (ت 875هـ)، والإيجي الشافعي (ت 905هـ)، وزكريّا الأنصاري (ت 926هـ)، وابن كمال باشا (ت 940هـ)، وابن عجيبة (ت 1224هـ)، والآلوسي (ت 1270هـ)، والقاسمي (ت 1332هـ)، والسّعدي (ت 1376هـ)، ومحمّد محمود حجازي (ت 1377هـ)، وابن عاشور (ت 1393هـ)، والشّنقيطي (ت 1393هـ)، وأبو زهرة (ت 1394هـ)، ومحمّد عزّة دَرْوَزَة (ت 1404هـ)، وسعيد حوى (ت 1409هـ)، ومحمّد المكي النّاصري (ت 1414هـ)، والشّعراوي (ت 1418هـ)، ومحمّد سيد طنطاوي (ت 1431هـ)، ووهبة الزّحيلي (ت 1436هـ)، وأبو بكر الجزائري (ت 1439هـ)، والصّابوني (ت 1442هـ). (ذكرت التفاسير بأسمائها الّتي اشتهرت بها تجنّبًا من الإطالة في ذكر جميعها بالتّفصيل هنا وفي المصادر أيضًا).

ب/ الّذين ذكروا الرّوايات النّبويّة في سياقاتٍ لا تتعلّق بالمعصية الأولى، علمًا أنّه لم يذكر أحدٌ الرّواية الثّانية، وإنما ذكروا الأولى في موضع اتّهام بني إسرائيل في تسبّبهم بِنَتْنِ اللّحم وإفساده. منهم: مُقاتل بن سليمان (ت 150هـ) وأورد نصّ الحديث كجزءٍ من كلامه، دون نسبته إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ويحيى بن سلام القيرواني (200هـ)، والسّمرقندي (373هـ)، والثّعلبي (427هـ)، والبغوي (510هـ)، و أبو حفص النّسفي (537هـ)، والخازن (741هـ)، والحداد اليمني (800هـ)، والسّيوطي (911هـ)، والخطيب الشّربيني (977هـ)، وإسماعيل حقّي (1127هـ)، و المظهري (1225هـ).

الاتّجاه الثاني: المفسّرون الذين اعتمدوا على هذه المرويّات في بيان المعصية الأولى.

من المفسّرين من ذكروا المرويّات النّبويّة المتعلّقة بمبادرة حوّاء في أكل الشّجرة، وانقسم هؤلاء على قسمين، فذهب بعضهم إلى الاكتفاء بسرد هذه المرويّات دون تعليقٍ، بينما تناولها آخرون مع توجيهِ اتّهامٍ إلى المرأة بأنّها كانت سبب المعصية الأولى وإغواء آدم عليه السلام.

أ/ المفسّرون الّذين اكتفوا بسرد المرويّات فقط.

المفسّر الوحيد (فيما وقف عليه الباحث) الّذي ذكر الحديث الشريف مع المعصية دون التّفصيل ودون اتّهام المرأة بمبادرة ارتكابها للمعصية هو أبو الطّيب محمّد صديق خان القِنَّوجي (ت 1307هـ)، في

معرض حديثه عن هبوط آدم وحوّاء وذريّتهما إلى الأرض، أورد الحديثَ دون توضيح علاقته بالسّياق والموضوع ودون بيان وجه الاستشهاد، وقال: (القِنَّوجي 1987، 139/1)"أخرج البخاري والحاكم عن أبي هريرة عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللّحم، ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها". ولا يبدو أنّه أراد تحميل حوّاء مبادرة المعصية؛ لأنّه صرّح بعد ذلك أنّ "الرّجل هو السّاعي على زوجته" في بيان سبب تحميل القرآن آدم وحده بالعصيان والشّقاوة في سورة طه في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: 117]. ولم يعلّق بكلمةٍ واحدةٍ على مبادرةِ حوّاء (القِنَّوجي 1987، 285/8).

ب/ المفسّرون الّذين ذكروا المرويّات مع توجيه الاتّهام للمرأة.

من المفسّرين الّذين ذكروا الحديث النّبويّ مع اتّهام حوّاء بمبادرة ارتكاب المعصية:

الشّوكاني (ت 1250هـ)، ذهب إلى أنّ حوّاء هي الّتي تسبّبت بأكل الشّجرة، لأنّ "آدم أَبَى أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا، فَتَقَدَّمَتْ حوّاء فَأَكَلَتْ، ثُمَّ قَالَتْ: يَا آدَمُ كُلْ، فَإِنِّي قَدْ أَكَلْتُ فَلَمْ يَضُرَّنِي"، ثمّ يستشهد بقول لابن عبّاس رضي الله عنه، يقول فيها آدم معتذرا ربّه: "يَا رَبِّ! زَيَّنَتْهُ لِي حوّاء"، ثمّ بيّن بأنّ الله عاقب حوّاء بأن يكون حملها ووضعها له بالمشقة والألم وكذلك عاقبها بالحيض بصورةٍ متكرّرةٍ ودائمةٍ، وكأنّه بهذا مؤيّد لهذا الرّأي، ولهذا يعقّب قول ابن عبّاس بالحديث النّبويّ (ولولا حوّاء لم تخن أنثى زوجها) (الشوكاني 1414هـ، 83/1).

كما أقرّ أحمد مصطفى المراغي (ت 1371هـ) رأي مبادرة حوّاء لاستجابتها لإبليس، وقال (المراغي 1946، 8/ 120) بعد ذكر الحديث: "لأنّها هى الّتي زيّنت له الأكل من الشّجرة، وقد فطرت المرأة على تزيين ما تشتهيه للرّجل ولو بالخيانة له". ولم يتطرّق إلى نفي هذه المبادرة لا في هذه السّورة ولا في غيرها.

وثالث المفسّرين هو محمد رشيد رضا (ت 1354هـ)، وهو أكثر صرامة من سابقيه، لأنّه مع الاستشهاد بالحديث يؤكّد أكثر على أنّ حوّاء هي الّتي جلبتْ آدم إلى المعصية، وقال: "إِنَّهَا هِيَ الَّتِي زَيَّنَتْ لَهُ الْأَكْلَ مِنَ الشّجرة"، ويلوم آدم بأنّه "لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الْعَزْمِ مَا يَصْرِفُهُ عَنْ مُتَابَعَةِ امْرَأَتِهِ" (رشيد رضا 1990، 311/8).

ومن الّذين حذا حذوهم محمّدُ الأمين الهرري (ت 1441هـ)، ويبدو أنّه متأثّر بكلٍّ من الشوكاني والمراغي؛ لأنّه ذكرهما صراحةً، ثمّ لمّا وصل إلى الآية الكريمة ذكر الحديث الشّريف وأعاد كلام المراغي من أنّ حوّاء "هي التي زيّنت له الأكل من الشّجرة، وقد فطرت المرأة على تزيين ما تشتهيه للرّجل، ولو بالخيانة له" (الهرري 2001، 255/9).

المطلب الثاني: أثر البيئة الفكرية والاجتماعية في تعزيز اتّهام المرأة أو تبرئتها.

بالعودة إلى المطلبين السّابقين يتبيّن أنّ الحديث لم يؤثّر أثرًا بالغًا في الاختلاف بين المفسّرين لتفسير الآية الكريمة، وهذا يعني أنّ الأكثريّة السّاحقة من المفسّرين بدءا بمُقاتل بن سليمان المتوفّى سنة (150هـ)، وعبورًا بالطّبري المتوفّي سنة (310هـ) - والّذي يعدّ إمام المفسّرين - وغيره من عمالقة التّفسير ووصولاً إلى المتأخّرين كابن عاشور والشّعراوي وطنطاوي وغيرهم، لم يجدوا علاقة بين الحديث الشّريف والآية الكريمة تفسيرًا وفهمًا.

أمّا الجهة المقابلة، والّتي فسّرت الآية بتوجيه الاتّهام إلى حوّاء، بل وذهب بعضهم إلى أنّ هذا ديدن النّساء كلّهنّ، فعددهم قليل جدًّا، وربطوا بين معنى الاشتهاء والخيانة، وهل لهذا الربط حقيقةٌ قرآنيّةٌ، هنا يجب التوقّف بحثًا في إيجاد علاقة بين معنى الاشتهاء والخيانة في القرآن الكريم ولا سيّما في سياقات قصّة آدم وحوّاء مع إبليس (وسيأتي تفصيل ذلك في المبحث الآتي).

يبدو أنّ الخلاف في اتّهام المرأة أثرٌ للبيئة الاجتماعيّة والفكريّة في عصر الصّحابة، لأنّ أكثر الرّوايات في ذلك تعود إلى الصّحابة والتّابعين الّذين أخذوا من علماء اليهود -الّذين أسلموا- فيما يتعلّق بتفاصيل القصص، كعبد الله بن عباس رضي الله عنه وهو من الصّحابة الذين نقلوا رواياتٍ عن بعض علماء اليهود بعد دخولهم في الإسلام، ووهب بن منبّه رضي الله عنه من التّابعين وكان يهوديًّا، وعدّهما الدكتور محمّد حسين (الذهبي 1990، 55-83) من المكثرين في رواية الإسرائيليّات في تفاصيل القصص.

خلاصة الأمر أنّ إسلام بعض اليهود كعبد الله بن سلام ومشاركة بعض الصّحابة في تفسير الآيات مع اليهود المتعايشين معهم خَلَقَ بيئةً فكريّةً واجتماعيّةً جمعتْ بين المنقول من الرّسول الأكرم صلّى الله عليه وسلّم وبين ما هو موجودٌ في كتب بني إسرائيل، من ذلك ما جاء في سفر التّكوين (3/ 6،12،16): أوّلاً: توجيه الاتّهام صراحةً بالقول: "فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجرة جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجرة شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ"، وثانيًا: ورود الاتّهام على لسان آدم بقوله: "قَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجرة فَأَكَلْتُ"، وثالثًا: عقاب الله تعالى لحوّاء وللنّساء جميعًا بالقول: "وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ".

مثلا نقل عن وهبِ بن منبّه قصّة مبادرة حوّاء بالأكل من الشّجرة كلٌّ من (الصنعاني 1419هـ، 75/2) و (الطبري 2001، 525/1) و (السيوطي 2011، 606/5). وكثيرا ما صرّح المفسّرون بنقلهم

عمّا قاله ابن عبّاس وأهل التّوراة، من ذلك قول (الطبري 2001، 532/1): "كما قال ابن عباس وأهل التوراة"، وكذلك صرّح (ابن كثير 1431هـ، 355/1) بإسرائيليّة تلك النقولات، فقال: "قد ذكر المفسّرون من السّلف كالسّدي بأسانيده، وأبي العالية، ووهب بن منبه، وغيرهم ها هنا أخبارًا إسرائيليةً عن قصة الحية وإبليس".

وتأثُّرُ بعض الصّحابة والتّابعين ببيئة الإسرائيليّات لا يعني ترجيح ما ذهبوا إليه في كتب التّفسير؛ فإنّ المفسّرين مع نَقْلِهِمْ لهذا الرّأي كواحدٍ من الآراء يرجّحون الرّأي المقابل، ولا يتّهمون حوّاء بمبادرة ارتكاب المعصية. بل على النقيض تمامًا، لم يعثر الباحث على أحدٍ من المعاصرين أيّد هذا الرّأي، بل الموجود رفض هذا الرّأي مطلقًا وتبرئة المرأة من التسبّب بمبادرة ارتكاب الذّنب الأوّل (وأمام القارئ عددٌ من البحوث في هذه الدراسة). إضافة إلى مخالفة هذا الرّأي لصريح القرآن كما سبق في المبحث الأوّل.

بيان ذلك أنّ من المفسّرين القدامى مَن جمعوا في مؤلّفاتهم شتّى الآراء، حرصًا على تنويع المصادر وتوسيع دائرة التّفسير، من غير أن يعمدوا إلى المقارنة بين الكتب السّماوية والقرآن الكريم والأحاديث النّبويّة. غير أنّه في القرن الأخير، ومع اشتداد الصّدام بين المسلمين والنّصارى، ولا سيّما في ظلّ التّبشير المسنود بقوّة الاستعمار، اتّجه المسلمون إلى مواجهة تلك الحملات عبر نقد الكتاب المقدّس، خصوصًا في القضايا العقديّة وموضوعات حقوق الإنسان والمرأة، إذ كانت أكثر المسائل تناولًا وتوضيحًا. فبرز منهج المقارنة بين القرآن الكريم والكتاب المقدّس، حيث رفض العلماء المسلمون الموقفَ الواردَ في الكتاب المقدس الذي لم يُعطِ المرأة فرصة البراءة من خطيئة الغواية، في حين أبرزوا نصوص القرآن الكريم التي برّأت حوّاء. ومن ثمّ استقرّ هذا الرأي في الوعي الإسلامي وأصبح هو السائد حتى يومنا هذا.

وعودة إلى الذّاكرين لهذه المرويّات، لا يظهر شيءٌ من كتاب (فتح القدير) يدلّ على سبب إقدام الشّوكاني على هذا الرّأي، غير بما أنّه سمّى تفسيره (فتح القدير الجامع بين فنّي الرّواية والدّراية في علم التّفسير) حاول حشد جميع الرّوايات دون الرّبط بينها في الآيات المختلفة كلّ مرّة، ففي سورة (البقرة/ 36) يتّهم حوّاء بالمبادرة (الشوكاني 1414هـ، 83/1-84)، وفي سورة (الأعراف/ 20) اكتفى بنسبة المعصية إليهما دون بيان المبادرة (الشوكاني 1414هـ، ٢٢٣/2)، وفي سورة (طه/ 120) بيّن أنّ آدم عصى ربّه بالأكل من الشّجرة، فلم يخض في التّوفيق بينها وبين الآيات الأخرى، ومن هنا يتأكّد ما تقدّم من أنّه أراد جمع الرّوايات دون الالتفات إلى بيان من هو المبادر في المعصية.

سار المراغي على خطاه فتحدّث عن وسوسة إبليس لآدم وحوّاء في سورة البقرة (المراغي 1946، 91/1)، ولها ابتداءً في سورة الأعراف (المراغي 1946، 120/8)، وله في سورة طه (المراغي 1946، 160/16). وكذلك محمّد رشيد رضا ينسب المعصية إليهما في سورة البقرة (رشيد رضا 1990، ٢٣١/1)، وإليها في سورة الأعراف (رشيد رضا 1990، ٣١١/8)، غير أنّه يجدر التنبيه إلى أنّ نسبة كلّ من المراغي ورضا ومثلهما (الهرري 2001، 255/9) المبادرة إلى حوّاء لم يُقصَد به إلّا بيانُ أنّ ما صدر من آدم لم يكن عن تعمّدٍ لمعصيةٍ عالماً بها، بل كان ثمرة إثارة نارِ الشّهوة بواسطة حوّاء.

إذًا، لم يكن غرضُهم هنا الحديثَ عن مَنْ بادر، رجل أم امرأة، بل كان قصدهم إبعادَ آدم كنبيٍّ عن ارتكاب المعصية؛ لأن ذلك موضع الكلام فيما يتعلّق بعصمة الأنبياء. أمّا ارتكاب المعصية، فأيًا كان مَن ارتكبها، فقد انتهى الأمر من المنظور الإسلامي وقد غفر الله لهما.

ونتيجةً لبيئة الحديث عن قضايا المرأة وحقوق الإنسان، تمّ تأليف بعض الكتب في ذلك، منها كتاب (حوّاء والخطيئة في التوراة والإنجيل والقرآن الكريم) للكاتبة اللبنانيّة د. فتنتْ مسّيكة (برّ 1996، 87)، وقد صرّحت بأنّها كانت مهتمّة بقضايا المرأة وإنسانيّتها منذ أن كانت دارسة وباحثة ماجستير ودكتوراه في السّتّينيات في أمريكا، وزاد شغفها للكتابة في هذا الموضوع أثناء استحواذ موضوع المرأة على اهتمام معظم دول العالم، ممّا دعا الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة، في جلستها المنعقدة في 1972/12/18 إلى إعلان عام 1975 (السّنة الدّولية للمرأة العالميّة)، ولا شّك أنّ تحميل المرأة ارتكاب المعصية الأولى يعني التّقليل من شأنها والنّظر إليها بالدّونيّة، وهذا يتناقض مع روح العدالة والمساواة في الإنسانيّة، ومن هذا المنطلق أخرجتْ هذا الكتابَ كبحثٍ أكاديمي إنقاذًا للمرأة من قيد الخطيئة الأولى وتوارثها جيلًا بعد جيلٍ. وتأكيدًا لهذه الحقيقة تقول أثناء إهداء البحث: "آملة أن تجد كلّ امرأة بين طيّات صفحاته ما تتطلّع وتصبو إليه من تحقيق إنسانيّتها المنشودة في ظلّ العدالة والحرّيّة والمساواة المعهودة منذ قرنٍ ونصفٍ" (برّ 1996، 6، 15). وتنتهي الباحثة في النهاية إلى أنّ القرآن الكريم لم يقرّر ولو بالإشارة إلى ابتداء حوّاء بإغراء آدم من الأكل من الشّجرة المحظورة.

ومنها ما كتبته السعودية الدكتورة أميمة بنت أحمد شاهين (الجلاهمة 1415هـ، 296) وبعد نقدها للكتاب المقدّس تقول: "قرّر القرآن أنّ مسؤولية الخطيئة الأولى ترجع في المقام الأوّل إلى آدم، وذلك يستبعد كلّ ما ألقته أصول الدّيانتين السّابقيتن على عاتق المرأة من مسؤولية الخطيئة وما رتبته على ذلك من آثار".

أمّا المفسّرون الّذين اعتمدوا على الإسرائيليات في توجيه الاتّهام إلى حوّاء ولم يذكروا الحديث الصّحيح فمنهم من ضعّف القول بعد التفصيل، منهم (الطبري 2001، 568/1) قال: "وأولى ذلك بالحقّ عندَنا ما كان لكتابِ اللهِ مُوافِقًا، وقد أخْبَر اللهُ تعالى ذكرُه عن إبليسَ أنه وسْوَس لآدَمَ وزوجتِه ليُبْدِيَ لهما ما وُورِي عنهما مِن سَوْءاتِهما".

ومنهم من ذكر القصّة استنادًا إلى الإسرائيليات واتّهم حوّاء بالمبادرة وإغواء آدم وسكت دون تعقيب كـ (البغوي 1420هـ، 106/1) و (الخازن 1415هـ، 39/1). وليس في إطار البحث الحديث عن كيفيّة التّعامل مع هذا الاتّجاه من الرّأي، لأنّه غير معتمدٍ على الحديث النّبويّ الذّي هو موضوع البحث، ويتّضح حكمه في المبحث الآتي، فإذا ترجّحت براءة حوّاء من المبادرة، فيكون بمثابة ردّ قاطع لهذا الرّأي؛ إذ لا وزن للإسرائيليات أمام الآيات القرآنية والأحاديث الصّحيحة. وفي المطلب الأخير نأتي لبيان سبب سكوت هؤلاء المفسّرين.

هناك من ردّ الحديث دون النّظر إلى كونه في الصّحيحين أم لا، بدعوى مخالفة المتن لصريح القرآن والعقل والمنطق والواقع، منهم أسماء عثمان (الشرقاوي 2025، 147-151). وسنرجع إليه في المبحث الآتي.

وأجاب بعضهم ببيان معنى الخيانة بمعنى أنّه وجّه الاتّهام إلى حوّاء بما لا يخدش بشخصيتها كابن حجر (العسقلاني 1390هـ، ٣٦٨/6). وسنعود إليه أيضًا.

أخيرًا تبيّن أنّ للبيئة الفكريّة والاجتماعيّة -قديما وحديثا- أثرَها في توجيه الاتّهام إلى المرأة أو تبرئتها منه.

المبحث الثالث: براءة حوّاء واتّهامها في ضوء السياق القرآني

المطلب الأول: تحليل دور حوّاء في سياق المعصية الأولى.

ذُكرتْ قصّةُ آدم وأكله من الشّجرة المحظورة في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، وسيُعرَض شرحُ كلِّ موضعٍ وفقًا لسياقه القرآني وألفاظه.

في سورة البقرة جاء النّهي عن أكل الشّجرة مشتركًا بين آدم وزوجته حوّاء، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: 35]، كما أنّهما وقعا معًا في مكيدة الشيطان وعوقبا بالإخراج من الجنّة، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ﴾ [البقرة: 36].

وفي سورة الأعراف تكرّر النّهي على نفس النمط: ﴿وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: 19]، ووقعا معًا في مصيدة إبليس: ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: 20]، وبذلك ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ﴾ [الأعراف: 22]، وفي الأخير استجاب كلاهما لوسوسة الشّيطان و﴿ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: 22].

أمّا سورة طه فتختلف في تصوير المشهد، فيوسوس إبليس إلى آدمَ وحده ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: 120]، ثمّ يأكل هو وزجته من الشّجرة ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾ [طه: 121]، ثمّ يقرّر القرآن عصيان آدم دون الحديث عن شريكته، ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: 121]، وكما انفرد آدم (في سورة طه) بالعصيان، يتلقّى هو أيضا طريق التوبة ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: 37]، وهكذا اصطفاه الله تعالى، وقبل توبته، وأرشده إلى الثبات على طريق الهداية ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: 122].

التّوفيق بين المواضع الثلاثة يؤدّي إلى أنّ كلاًّ من آدم وزوجته كانا مأمورين بعدم الأكل، ووسوس إليهما الشّيطان، ووقعا في فخّه، وتاب كلاهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23]، لكنّ السّياق يفيد أنّ تركيز إبليس كان على آدم عليه السلام ﴿فَوَسۡوَسَ إِلَيۡهِ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [طه: 120]، وهو الأكثر عرضة لإغواء الشّيطان والتوجّه إليه ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلۡ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلۡخُلۡدِ وَمُلۡكٖ لَّا يَبۡلَىٰ﴾ [طه: 120]، وهو الّذي نسي عهد الله معه في عدم الأكل ولم يكن عازمًا ﴿وَلَقَدۡ عَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبۡلُ فَنَسِيَ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمٗا 115﴾ [طه: 115]، وفي العهد جاء الخطاب إليه وحده ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: 117]، كما أنّه عليه السلام انفرد بتلقّي الكلمات والتّوبة ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ﴾ [البقرة: 37]، والحقّ أنّ حوّاء اشتركت معه في الوسوسة ﴿فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [الأعراف: 20] والأكل ﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا﴾ [طه: 121] وفي التّوبة أيضا ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: 23].

لخّص العلماء حكمة انفراد آدم عليه السّلام في بعض الآيات مع أنّ المسؤوليّة مشتركة بينه وبين زوجته، في اتّجاهات عدّة، وكلّها في صالح المرأة وتبرئتها ممّا ينسب إليها من المبادرة والتسبّب.

أوّلا: الضّمير وإن جاء بصيغة المفرد إلاّ أنه يرجع إليهما كليهما؛ لأنّه إذا كان فعل الاثنين بمعنًى واحدً، جاز الاكتفاء بذكر أحدهما، ويُحمل المعنى عليهما معاً، ومثله كثيرٌ في القرآن الكريم، كإفراد الضّمير العائد إلى المثنّى (التّجارة واللهو) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ [الجمعة: 11] وكإفراد الضمير العائد إلى (لفظ الجلالة ورسوله) في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: 62] (الماوردي 1992، 110/1). وفي هذا الاتّجاه اشتراك كليهما في سير العمليّة.

ثانيًا: إنّ الانفراد بذكر آدم إنّما جاء ليطابق صدرَ الخطاب المنفرد له عليه السّلام. وهذا لا يُروي الغليل؛ إذ يظلّ السؤال قائمًا حول سبب هذا الانفراد، إلاّ أن يستأنس بما قاله (الشوكاني 1414هـ، 82/1) من أنّ المرأة تَابِعَةٌ لَهُ. وكذلك الحال في اقتصار إبليس على وسوسة آدم في سورة طه "لِعِلْمِهِ بِأَنَّ اقْتِدَاءَ الْمَرْأَةِ بِزَوْجِهَا مَرْكُوزٌ فِي الْجِبِلَّةِ" (ابن عاشور 1984، 327/16). وهذا الرّأي نفيٌ عن توجيه الاتّهام لحوّاء، وتبرئةٌ لها من استقلالها بالمبادرة فضلاً عن نفي إغوائها إيّاه.

ثالثًا: إنّ المرأة موصوفة بالحرمة والصيانة، وهذا يقتضي السّتر، فلم يُصرَّح بذِكرها عند وقوع المعصية (القرطبي 1964، 325/1). وهذا يعني أنّ القرآن لم يصفها بالمعصية حفظا لكرامتها وسترا لها ناهيك عن توجيه الاتّهام لها بالمبادرة.

رابعًا: إنّ في إثبات العصيان لآدم دون زوجه دلالةً على أنّه هو القدوة والسّابق في الأكل من الشّجرة، ثمّ اقتدت هي به (ابن عاشور 1984، 327/16). وتختلف هذه النّقطة عن الثانية في أنّ التّركيز هنا على إقدام آدم وتحميله المبادرة في الأكل من الشّجرة. وفي الثّانية التّركيز على تبعيّة المرأة، وإن آل الأمران إلى نتيجةٍ واحدةٍ.

أوضحت الاتّجاهات الأربعة في تفسير الآية حسب السياق القرآني، ويستفاد أنّ السياق يدلّ على أنّ حوّاء لم تكن البادئةَ في الغواية؛ إذ تخلو الآيات من أيّة إشارةٍ توحي بابتدائها في استجابة الإغراء أو المعصية (برّ 1996، 90).

خلصت النتيجة إلى أنّ حوّاء لم تكن المبادِرة إلى الانقياد بوسوسة إبليس، بل -في أقصى تقديرٍ- كانت مشارِكَةً لآدم في ذلك إن لم تكن متأخّرةً عنه ومقتديةً به.

المطلب الثاني: الإنصاف القرآني في المعصية: قراءة في تحميل الغير ورفع المسؤولية.

استعمل القرآن الكريم كلماتٍ متنوّعة في معنى المعصية، منها: (الذّنب، المعصية، الإثم، الخطيئة، الوزر، السّيّئة)، ولكلّ واحدة منها معناها الدقيق، وتشترك في معنى "مخالفة الأمر الإلهي وفعل ما نهي عنه" (النُّزهِي 2021، 29/1، 30، 322) و (الجمل 2008، 56/1، 45/2، 148، 350، 137/3، 219/5).

والقرآن يؤكّد أنّ كل إنسان مسؤول عمّا يقترفه، ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء ١٣]، ولا يتحمّل أحدٌ ذنب أحدٍ ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ 38 وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ 39 وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ 40 ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ﴾ [النجم: 38-41]، إلّا مَن تعمَّد

إضلالَ الآخرين، فإنَّه يتحمَّل إثمَه وإثمَ مَن أوقعهم في الغواية بسببِه وعن قصدٍ ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [العنكبوت: 13]، وجميع الذّنوب سوى الشّرك قابلةٌ للمغفرة بفضل الله تعالى ورحمته، حتّى وإن لم يَتُبِ العبدُ منها، وذلك بمشيئته سبحانه، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48]. أمّا مع التّوبة فجميع الذّنوب قابلةٌ للعفو، والله سبحانه وتعالى يحثّ المذنبين على التّوبة والرّجوع إلى الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: 53]، وأخبر سبحانه وتعالى بصيغة المبالغة أنّه يغفر لِمَنْ (تاب، وآمن، وعمل صالحا، ثمّ اهتدى)، فقال: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: 82]، وهناك من التّائبين من يبدّل الله سيّئاتهم إلى حسناتٍ ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: 70].

لو قيس إقدام آدم وحوّاء على أكل الشّجرة بميزان الإنصاف القرآني لاتّضح أنْ لا أحد منهما مذنبٌ؛ إذ تقدّم أنّهما تابا وتقبل الله سبحانه وتعالى توبتهما واهتدا، ولا سيّما أنّ آدم إنّما فعل ذلك ناسيًا، وحوّاء تبعته، كما أنّ القرآن يؤكّد أنّ هذا كان تجربةً عمليّة وتعليمًا لبني آدم في مسيرة حياتهم لعمارة الأرض وصراعهم المستمرّ مع إبليس وأعوانه (نورالدين 2023، 64)، والله سبحانه وتعالى -قبل حدوث شيءٍ ممّا جرى بين آدم وإبليس- أخبر الملائكة بأنّه يجعل الخليفة في الأرض، ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البقرة: 30].

المطلب الثّالث: تحرير دلالة الأحاديث في ضوء براءة حوّاء واتّهامها عبر السياق القرآني.

تبيَّن ممّا تقدَّم أنّ القرآن الكريم لم يُلقِ بالمسؤوليّة على حوّاء في مسألة المبادرة إلى الأكل من الشّجرة، كما أنّ جمهور المفسّرين لم يعتمدوا في تفسيرهم على الرّواية التي توحي بنسبة تلك المبادرة إليها. ومن ثَمّ يتّضح أنّ حوّاء بريئة من هذا الاتّهام الذي ترجع جذورُه إلى الموروث التّوراتي السّاعي إلى تحميل المرأة تبعيّةَ المعصية، وإلى العقيدة المسيحيّة التي ربطت بين ذلك الاتّهام وفكرة الصّلب؛ إذ اعتُبر المسيحُ ابنَ الله الوحيدَ الذي فدى البشريّة من الخطيئة الموروثة منذ آدم حتّى حادثة الصّلب (يوحنا 3: 16، و1كورنثوس 15: 3، ورومية 5: 6).

إذا كان القرآن قد برّأ حوّاء من هذا الاتّهام، فإنّ الإشكال المتبقّي يتعلّق بكيفيّة التّعامل مع الحديث النّبويّ الوارد في هذا السّياق. وقد اتّجه العلماء والمفكّرون إلى مقارباتٍ متعدّدةٍ في معالجته، يمكن تصنيفها في ثلاث اتجّاهاتٍ كبرى. وليس المقصودُ هنا استقصاءَ جميع الأسماء والآراء المنتمية لكلّ

اتّجاهٍ؛ لأنّ ذلك يطيل البحث، وإنّما المقصود بيان أبرز الطرائق في معالجة العلاقة بين النصّ القرآني والحديث النّبويّ.

المقاربة الأولى: الأخذ بالحديث على ظاهره وما يُتَبادَرُ منه، مع بيان المقصود بمصطلح الخيانة. ويعدّ ابن حجر العسقلاني رائدَ هذه المقاربة وقائدَها، فهو لم ينفِ كون الحديث إشارةً إلى تزيين حوّاء أكل الشّجرة لآدم، وعالَجَ القضيّة عبر نفي تفسير الخيانة في الحديث بارتكاب الفاحشة، بل إنّها تعني "أنّ الزّوجة قَبِلَتْ ما زَيَّنَ لها إبليسُ حتّى زيّنَتْه لآدم". وليس في ذلك تنقيصٌ لحوّاء، وقريب من هذا حديث جحد آدم فجحدت ذريّته.

يرى أنّ في ذلك فائدةً للرّجال وفائدةً للنّساء، ففائدة الرّجال أنْ لا يُفْرِطُوا في لوم النّساء فيما يقع منهنّ؛ لأنّ ذلك بدأ من أمّ البشر الأولى. وفائدة النّساء أن يَضْبِطْنَ أنفسَهُنّ ويجاهِدْنَ هَوَاهُنَّ (العسقلاني 1390هـ، ٣٦٨/6).

اعتمد كثير (بل الأكثرية من شرّاح الحديث) ممّن جاؤوا بعده على كلامه، وكذلك المعاصرون، من ذلك موسوعة بيان الإسلام إعداد نخبة من كبار (العلماء 2012، 141/3). كما توسّع علماء الأزهر في ذلك، وذلك في كتاب خاصٍّ بعنوان (من قضايا المرأة في السّنّة النّبويّة: شبهاتٌ وردودٌ)، إعداد لجنة السّنّة النّبويّة بـ (هيئة كبار العلماء 2023، 102) في الأزهر، وبحثوا عن معانى الخيانة ولا سيّما في القرآن الكريم كـ"خيانة الأمانة، وخيانة العهد، والخيانة بإفشاء الأسرار، والخيانة بإلحاق الأذى، والخيانة في الحرب، والخيانة في عدم النّصح، والخيانة بمخالفة الزّوجة لزوجها بما يضرّه ويسيء إليه، ونحو ذلك". وغايتهم في ذلك إبعاد معنى ارتكاب الفاحشة منها، ويؤيّدون رأيهم بدليلٍ عقليٍّ، وهو عدم وجود رجلٍ آخَرَ آنذاك كي تقوم حوّاء بالخيانة معه.

انطلاقا من اعتداد ذلك جزءًا إيجابيّا لصالح المعاشرة بين الزّوجين، وضع عدد من المحدّثين هذا الحديث في باب طبائع النساء والمعاشرة الزوجية، من ذلك أبو عوانة (الإسفراييني 1998، 141/3) بعنوان (بَابُ ذِكْرِ الْأَخْبَارِ الدَّالَّةِ عَلَى إِيجَابِ مُدَارَاةِ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَذْمُومَةِ، وَالْخِلَافِ، وَإِمْسَاكِهَا وَكَرَاهِيَةِ طَلَاقِهَا، وَإِظْهَارِ الْبُغْضِ لَهَا...)، والحاكم (النيسابوري 2018م، 173/8) بعنوان: (كتاب البر والصلة)، و (البغوي 1983، 162/9) بعنوان: (باب المداراة مع النساء)، و (النووي 1392هـ، 10/ 57) بعنوان: (باب الوصية بالنساء) وغيرهم.

المقاربة الثّانية: إنكار الحديث جملةً وتفصيلًا بدعوى مخالفته للقرآن الكريم أو مساسه بكرامة المرأة. وقد أدّى هذا الموقف إلى إثارة جدلٍ متواصلٍ حول مدى صِحّة صحيح البخاري وقبولِه على إطلاقه،

باعتباره أصحَّ ما دوَّنه المحدِّثون، أو كما يُفَضّل بعضهم إطلاق (ثاني كتابٍ بعد القرآن الكريم) عليه. وأكثر من يميلون إلى هذا الإنكار من المعاصرين الناشطون في مجال حقوق المرأة، منهم: أسماء (الشرقاوي 2025، 147) في كتابها الموسوم (كاملات عقل ودين) وغيرها.

المقاربة الثّالثة: نفي المبادرة عن حوّاء؛ وذلك بتفسير الخيانة بعدم النّصح. تختلف هذه المقاربة عن الأولى في أنّ الأولى نسبتِ المبادرةَ إلى حوّاء ورفضتْ تفسيرَ الخيانة بالعلاقة الزوجية، أمّا هذه فتنفي العلاقة بين الحديث ومبادرة حوّاء في الأكل من الشّجرة.

يعدّ ابن هبيرة (الشيبانيّ 1417هـ، 230/7) رائد هذه المقاربة، فيفسّر الخيانة بترك النّصح، وذلك: "أنّها لما رأت آدم قد عزم على الأكل من الشّجرة تركت نصحه في النّهي له"، ويقرّره قاعدةً ثابتةً لوصف كلّ من ترك النّصح بالخيانة، ويستشهد بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: 58]، ويقول: "فعلى هذا، كلّ مَن رأى أخاه المؤمن على سبيل ذلك فترك نصحه بالنّهي عن ذلك النّهي فقد خانه". ووافقه (ابن الجوزي 1997، 504/3)، وابن الأثير (الجزري 2016، 352/7).

هذه المقاربة تصبّ في مصلحة المرأة؛ إذ يتّضح من دلالة الحديث أنّ للمرأة دورَيْنِ أَصِيْلَيْنِ منذ الخلقِ الأوّل؛ دورًا رساليًّا تتقاسم فيه مع الرّجل مسؤوليةَ حمل الأمانة وإعمار الأرض، ودورًا أنثويًّا يتجلّى في التزيّن والتجمّل، غير أنّ هذا الدّور الثّاني ينبغي أن يظلّ منضبطًا وموجَّهًا لخدمة الدّور الأوّل، عبر كبح الميل إلى الشّهوات وضبط النّفس. فالقرآن الكريم ألقى باللّوم على آدم عليه السّلام في نسيان العهد وضعف العزم، بينما جاء الحديث ليحمّل حوّاء مسؤوليّة التّقصير في نصح آدم، وهو تقصيرٌ عُدّ إخلالًا بجانبٍ من دورها الرّسالي، ولا سيّما فيما يتّصل بالأسرة ومقام النّصيحة للزّوج. ومن ثَمّ، فإنّ هذا التّوجيه النّبويّ يبيّنُ أنّ واجبَ المرأة لا يقتصر على المشاركة في بناء الحياة والأسرة، بل يشمل أيضًا الثّبات على الحقّ، فلا تُطيع زوجًا أو غيره في معصيةٍ أو مخالفةٍ لشرع الله، بل عليها مقاومة المخالفة ومنعهم من الوقوع فيها بما يمكنها، وإلّا كان ذلك نقضًا لوظيفتها الرّساليّة. وهكذا يتحوّل هذا اللّوم النّبويّ إلى تكريمٍ للمرأة، وإبرازٍ لمكانتها، وتأكيدٍ على استقلاليّة شخصيّتها في أداء رسالتها. وممَن تبنّى هذه المقاربة الباحثة الأردنية د. نما (البنا 2012، 40-41).

النتائج

في ضوء هذه الدراسة تمّ الوصول إلى أنّ النّصّ القرآني قدّم عرضاً متكاملاً لقصّة المعصية الأولى، مكتفياً بذاته عن أيّ روايات مضافة (والّتي وردت بقلّة من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم)، وهو ما يوجب اعتماد القرآن أساساً في بناء فهم هذه القصّة، وعدم تحميل النص ما لم يقصده. ولم يكن الحديث الصحيح -

الذي أوهم تحميل حوّاء المبادرة في المعصية الأولى- سبباً للخلاف بين المفسّرين؛ إذ إنّ الأكثرية الساحقة منهم لم يعتمدوا عليه، بل لم يذكروه أصلاً في تفاسيرهم، ولو كان الحديث بياناً أو تفسيراً مباشراً للآية لرجّحه المفسّرون وجعلوه عمدة القول، ولاسيّما أنّ التّفسير بالمأثور الصّحيح هو المرجع الأوّل للقرآن وبالأخصّ في الغيبيّات غير القابلة للتفسير العقلي، وعلى العكس رأينا الإمام الطبري مع ذكر الرّأيَيْنِ رجّح الرّأي المقابل، مما يكشف عن استقلالية النص القرآني في طرحه. أمّا الاتجاه التّفسيري الذي حمَّل حوّاء مسؤولية المبادرة إلى المعصية يعكس مؤثرات خارجية أو ثقافية أكثر من كونه مستنداً إلى نصوص قطعية، كالاعتماد على الإسرائيليات، وهو ما يستدعي نقد هذه القراءة وإعادة الاعتبار لمفهوم المسؤولية المشتركة التي أكدها القرآن. والقصّة القرآنية في ارتكاب آدم وحوّاء المعصية بالأكل من الشّجرة لم تُطرح لتكون اتّهاماً جنسياً أو سرداً تاريخياً مجرداً، بل لتؤسس مبدأ تربويًّا وإنسانيًّا شاملاً في مسيرة الإنسان الإعمارية للأرض، يقوم على إدراك قابلية الإنسان للخطأ، مع إدراك قدرته على التّوبة والعودة، وهو المعنى الذي يجعل المعصية الأولى قاعدة تربوية للصراع بين الحقّ والباطل والتّدافع في سبيل الأفضل، لا اتّهامية.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد .1997 *كشف المشكل من حديث الصحيحين* .الأولى .تحقيق: علي حسين البواب .الرياض, السعودية: دار الوطن.
2. ابن الجوزي, جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي1422 .هـ *زاد المسير في علم التّفسير* .الأولى .تحقيق: عبد الرزاق المهدي .بيروت, لبنان: دار الكتاب العربي.
3. ابن عاشور, محمد الطاهر .1984 *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد* .الأولى .تونس, تونس: الدار التونسية.
4. ابن كثير, أبو الفداء إسماعيل الدمشقي1431 .هـ *تفسير القرآن العظيم* .الأولى .تحقيق: حكمت بن بشير بن ياسين .الرياض, السعودية: دار ابن الجوزي.
5. ابن منظور, أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن على1414 .هـ *لسان العرب* .الثالثة . بيروت, لبنان: دار صادر.
6. أبو الشيخ الأصبهاني, أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر1408 .هـ *العظمة* .الأولى .تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري .الرياض, السعودية: دار العاصمة.
7. أبو حيان الأندلسي, محمد بن يوسف .2000 *البحر المحيط* .بيروت, لبنان: دار الفكر.

8. أبوجَيب, د سعدي .1988 .*القاموس الفقهي* .الثانية .دمشق, سورية: دار الفكر.

9. الإسفراييني, أبو عوانة يعقوب بن إسحاق .1998 .*مستخرج أبي عوانة* .الأولى .تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي .بيروت, لبنان: دار المعرفة.

10. البخاري, أبو عبد الله محمد بن إسماعيل .1993 .*الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه (صحيح البخاري)* .الخامسة .تحقيق: د. مصطفى ديب البغا .دمشق, سورية: (دار ابن كثير، دار اليمامة).

11. البغوي, محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء .1983 .*شرح السنة* . الثانية .تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش .دمشق، بيروت, سورية - لبنان: المكتب الإسلامي.

12. البغوي, محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود1420 .هـ .*معالم التنزيل في تفسير القرآن* . الأولى .تحقيق: عبد الرزاق المهدي .بيروت, لبنان: دار إحياء التراث العربي.

13. البلخى, أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي1423 .هـ .*تفسير مقاتل بن سليمان* . الأولى .تحقيق: عبد الله محمود شحاته .بيروت, لبنان: دار إحياء التراث.

14. البيضاوي, ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد1418 .هـ .*أنوار التنزيل وأسرار التأويل* .الأولى .تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي .بيروت, لبنان: دار إحياء التراث العربي.

15. الجزري, مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن الأثير .2016 .*جامع الأصول في أحاديث الرسول* .الثالثة .تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط .دمشق - بيروت, سورية - لبنان: دار ابن كثير.

16. الجلاهمة, د. أميمة بنت أحمد شاهين1415 .هـ .*الخطيئة الأولى بين اليهودية والمسيحية والإسلام* .الأولى .القاهرة, مصر: دار زهراء الشرق.

17. الجمل, حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد .2008 .*مخطوطة الجمل* .الأولى .القاهرة, مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

18. الخازن, علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم1415 .هـ .*لباب التأويل في معاني التنزيل* .الأولى .تحقيق: محمد علي شاهين .بيروت, لبنان: محمد علي شاهين.

19.الخالدي, الدكتور صلاح عبد الفتاح .2010 .*مواقف الأنبياء في القرآن الكريم* .الثانية .دمشق, سوريا: دار القلم.

20.الخرائطي, أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد .1999 .*مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها* .الأولى .تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري .القاهرة, مصر: دار الآفاق العربية.

21.الذهبي, د. محمد حسين .1990 .*الإسرائيليات في القرآن والحديث* .الرابعة .القاهرة, مصر: مكتبة وهبة.

22.الذهبي, شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان .1963 .*ميزان الاعتدال في نقد الرجال* .الأولى .تحقيق: علي محمد البجاوي .بيروت, لبنان: دار المعرفة.

23.الرازي, زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر .1999 .*مختار الصحاح* .الخامسة .تحقيق: يوسف الشيخ محمد .بيروت - صيدا, لبنان: المكتبة العصرية - الدار النموذجية،.

24.الرازي, فخر الدّين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن .1982 .*اعتقادات فرق المسلمين والمشركين* .تحقيق: علي سامي النّشار .بيروت, لبنان: دار الكتب العلميّة.

25.الزَّبيدي, محمّد مرتضى الحسيني .2001 .*تاج العروس من جواهر القاموس* .الكويت, الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء.

26.السّريح, فايز بن سيّاف .2021 .*أعلام القرآن* .الثانية .الرياض, السعودية: دار الحضارة.

27.السعدي, عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله .2000 .*تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان* .الأولى .تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق .ديمشق, سوريا: مؤسسة الرسالة.

28.السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .2011 .*الدر المنثور في التّفسير بالمأثور* . الأولى .بيروت, لبنان: دار الفكر.

29.السيوطي, جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر .2005 .*جمع الجوامع (الجامع الكبير)* .الثانية . تحقيق: مختار إبراهيم الهائج, عبدالحميد محمد ندا وحسن عيسى عبدالظاهر .القاهرة, مصر: الأزهر الشريف.

30.الشرقاوي, أسماء عثمان .2025 .*كاملات عقل ودين* .الأولى .القاهرة, مصر: السراج.

31.الشوكاني, محمد بن علي بن محمد1414 .هـ *فتح القدير* .الأولى .دمشق - بيروت, سوري - لبنان: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب.

32.الشيبانيّ, أبو المظفر عون الدين يحيى بن هُبَيْرَة1417 .هـ *الإفصاح عن معاني الصحاح* . تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد .الرياض, السعودية: دار الوطن.

33.الصنعاني, أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع1419 .هـ *تفسير الصنعاني* .الأولى .تحقيق: د. محمود محمد عبده .بيروت, لبنان: دار الكتب العلمية.

34.الطبري, أبو جعفر محمد بن جرير .2001 *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* .الأولى .تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي .القاهرة, مصر: دار هجر.

35.العسقلاني, أحمد بن علي بن حجر1390 .هـ *فتح الباري بشرح البخاري* .الأولى .القاهرة, مصر: المكتبة السلفية.

36.العلماء, نخبة من كبار .2012 *موسوعة بيان الإسلام* .الأولى .الجيزة: دار نهضة مصر.

37.القرطبي, أبو عبد الله محمد بن أحمد .1964 *الجامع لأحكام القرآن* .الثانية .تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش .القاهرة, مصر: دار الكتب المصرية.

38.القِنَّوجي, محمّد صديق خان .1987 *يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار* . تحقيق: د. أحمد حجازي السقا .القاهرة, مصر: مكتبة عاطف - دار الأنصار.

39.الماوردي, أبو الحسن علي بن محمد .1992 *النكت والعيون* .الأولى .تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم .بيروت, لبنان: دار الكتب العلميّة- مؤسسة الكتب الثقافية.

40.المباركفوري, صفي الرحمن .1999 *منة المنعم في شرح صحيح مسلم* .الطبعة الأولى . الرياض, السعودية: دار السلام.

41.المراغي, أحمد بن مصطفى .1946 *تفسير المراغي* .الأولى .القاهرة, مصر: مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده.

42.النُّزهِي, علي فهمي .2021 *الفروق اللغوية في تفسير الكلمات القرآنية* .الرابعة .الأسكندرية, مصر: الدار العالمية للنشر والتوزيع.

43.النووي, أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف1392 .هـ .*المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج* .الثانية .بيروت, لبنان: دار إحياء التراث العربي.

44.النيسابوري, أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم2018 .م .*المستدرك على الصحيحين* .الأولى . تحقيق: د. سعيد اللحام .دمشق, سورية: دار الرسالة العالمية.

45.الهرري, محمد الأمين بن عبد الله .2001 .*حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن* . الأولى .بيروت, لبنان: دار طوق النجاة.

46.الهلال, محمد .2022 .*تفسير القرآن الثري الجامع* .الأولى .دمشق, سوريا: دار المعراج، ودار جوامع الكلم، دمشق - سوريا.

47.الواحدي, أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد1430 .هـ .*التّفسير البسيط* .الأولى .الرياض, السعودية: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

48.برّ, د. فتنت مسّيكة .1996 .*حوّاء والخطيئة في التّوراة والإنجيل والقرآن الكريم* .الأولى . بيروت, لبنان: مؤسسة المعارف.

49.رشيد رضا, محمد .1990 .*تفسير القرآن الحكيم (المنار)* .القاهرة, مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

50.طبارة, عفيف عبد الفتاح .1980 .*مع الأنبياء في القرآن الكريم* .الثامنة .بيروت, لبنان: دار العلم للملايين.

51.كمال باشا, شمس الدين أحمد بن سليمان بن كمال باشا الرومي .2018 .*تفسير ابن كمال باشا* . الأولى .تحقيق: ماهر أديب حبوش .اسطنبول, تركيا: مكتبة الإرشاد.

52.لجنة, لجنة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر .1993 .*التّفسير الوسيط للقرآن الكريم* .الأولى .الجيزة, مصر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية.

53.مسلم, أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري .1955 .*المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم* .تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . بيروت, لبنان: تصوير دار التراث العربي.

54.نخبة, من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة .2011 .*المعجم الوسيط* .الخامسة .القاهرة, مصر: مجمع اللغة العربية - مكتبة الشروق الدولية.

55.نورالدين, محمود عبدُه .2023 .*تاريخ الأنبياء* .الأولى .القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية.

56.هيئة كبار العلماء, لجنة السنة النّبويّة .2023 .*من قضايا المرأة في السّنّة النّبويّة: شبهات وردود* . الأولى .القاهرة: مجمع مطابع الأزهر الشريف.

المجلّات

57.أحمد, د. مصطفى عبد العظيم" .2019 .حواء في اليهودية والمسيحية والإسلام دراسة مقارنة ". تحقيق: أ.د / محمد أحمد صالح .*رسالة المشرق*)مركز الدراسات الشرقية – جامعة القاهرة 34 ((03): 177-213. Accessed 10 05, 2025. doi:10.21608/rmshreq.2019.88103.

58.البنا, نماء محمد" .2012 .نحو منهجية للتعامل مع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين حديث "لولا حواء لم تخن أنثى زوجها نموذجاً ".تحقيق: إبراهيم محمد زين .*الفكر الإسلامي المعاصر*)المعهد العالمي للفكر الإسلامي .Accessed 09 26, 2025. 11-42 :(67) 17 ((IIIT) doi:https://doi.org/10.35632/citj.v17i67.899.

59.الخيرآبادي, محمد أبو الليث" .2011 .حديث لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر ".*مجلة الإسلام في آسيا*)الجامعة الإسلامية العالمية .Accessed 10 05, 2025. 08 ((01). doi:https://doi.org/10.31436/jia.v8i1.109.

60.المعصار, فاطمة and ,د. محمد الزهير" .2018 .خطيئة حواء في الأديان السماوية ومكانة المرأة : أية علاقة ".*مجلة علوم الإنسان والمجتمع*)جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر 07 ((27): 107-130. Accessed 10 05, 2025. https://asjp.cerist.dz/en/article/64194.

61. نظمي, رانيا محمد عزيز" .2024 .قصة آدم عليه السلام بين المفسّرين وعلماء نقد الكتاب المقدس (تفسير الطبري أنموذجًا دراسة تحليلية نقدية) ".تحقيق: ا.د سمير سعد حامد خطاب .*مجلة الدراسات الأفروآسيوية* .Accessed 10 05, 2025 . 32-96 :(10) 13 doi:10.21608/aass.2024.407013.

تۆمەتبارکردنی حەوا لەنێوان دەقی قورئانو فەرموودەکانی پێغەمبەرو کاریگەری بەسەر ڕاڤەکارانەوە:

تێڕوانینێکی شیکاریی بەراوردکارییە

پ.ی.د. جەعفەر نەجمەدین عەلی گوانی

بەشی وتارخوێنیو ڕاگەیاندنی ئایینی

کۆلێژی زانستە ئیسلامییەکان

زانکۆی سەڵاحەدین – هەولێر

Jaafar.Ali@su.edu.krd

07504522305

پوختە:

ئەم توێژینەوەیە بە ناونیشانی (تۆمەتبارکردنی حەوا لە نێوان دەقی قورئان و گێڕانەوە فەرموودەییەکان و کاریگەرییەکەی لە ڕاجیاوازیی ڕاڤەکارانی قورئاندا) باسی پرسی تۆمەتبارکردنی حەوای کردووە بە یەکەمین تاوان لەسەر بنەمای دەقی قورئان و گێڕانەوە فەرموودەییەکان، و کاریگەری ئەم تۆمەتبارکردنە لەسەر ڕاجیاوازیی لێکدانەوەی زانایان بۆ قورئانی پیرۆز. کێشەی توێژینەوەکە بریتییە لە دڵنیابوون لە ڕاستیی ئەو تۆمەتەی ئاراستەی حەوا کراوە کە گوایە ئەو دەستپێشخەری خواردنی درەختەکە بووە و ئادەمی فریوداوە، هەروەها ڕادەی دروستی ئەم تۆمەتە لەسەر بنەمای قورئان و فەرموودە گێڕدراوەکان لە پێغەمبەرەوە درووی خوای لەسەر بێت، لەگەڵ ڕوونکردنەوەی کاریگەریی ئەمە لەسەر ڕاجیاوازیی ڕاڤەکارانی قورئان و بەکارهێنانی هەندێک گێڕانەوە بۆ لێدان لە ئایین یان لە وێنەی ژن. گرنگیی توێژینەوەکە لە ڕوونکردنەوەی ڕاستیی ئەم تۆمەتەدایە، کە یارمەتیدەرە بۆ خوێندنەوەیەکی دادپەروەرانە بۆ دەقەکان و ڕاستکردنەوەی هەندێک تێڕوانینی ڕاڤەکاری کە کەوتوونەتە ژێر کاریگەری هەندێك لە ڕیوایەتەکان و ژینگەی فیکری و کۆمەڵایەتی دەربارەی ڕۆڵی حەوا و پێگەی ژن لە گوتاری ئیسلامیدا. توێژینەوەکە پشتی بە میتۆدی شیکاری بەراوردکاری بەستووە. توێژینەوەکە ڕوونیکردووەتەوە کە تاوانەکە هاوبەش بووە لە نێوان ئادەم و حەوا، تۆبەکردنیش هاوبەش بووە، لەگەڵ ڕەتکردنەوەی بوونی

هیچ ئاماژەیەکی قورئانی بۆ دەستپێشخەریی حەوا لە تاوانەکەدا. سەبارەت بە فەرموودەی پێغەمبەر درووودی خوای لەسەر بێت، لەو بارەیەوە فەرموودەیەکی سەحیح هاتووە، بەڵام زانایان لێکیانداوەتەوە کە وەسفێکە بۆ سروشتێکی مرۆیی گشتی وەک بناغەیەکی سەرەتایی بۆ دامەزراندنی سروشتی ململانێی نێوان ڕاستی و هەڵە و دانانی بەریەککەوتن بۆ مرۆڤ وەک بنەما لە ئاوەدانکردنەوەی زەویدا، فەرموودەکە تۆمەتێکی ڕەوشتی یان ئایینی نییە. تۆێژینەوەکە ئەوەی دەرخستووە کە زۆربەی ڕاڤەکارانی قورئان پشتیان بەم فەرموودەیە نەبەستووە لە لێکدانەوەی چیرۆکی ئادەم و حەوا و ڕوونکردنەوەی ئەوەی کێ دەستپێشخەری خواردنی درەختەکە بووە، بەڵکو بیرۆکەی فریودانی ئادەم لەلایەن حەواوە کاریگەریی لە میراتی ئیسرائیلی و کلتووری دەوروبەری نووسەران وەرگرتووە نەک لە دەقی قورئان و فەرموودە. تۆێژینەوەکە گەیشتووەتە ئەو دەرئەنجامەی کە ئیسلام دادپەروەری لەگەڵ ژندا کردووە، بەرپرسیارێتی لە یەکەمین تاواندا کردووە بە بەرپرسیارێتییەکی مرۆیی هاوبەش، کە هیچ جیاوازییەک لە نێوان پیاو و ژندا نییە. تۆێژینەوەکە لە سێ بەش پێکهاتبوو: (بەشی یەکەم: یەکەمین تاوان لە نێوان قورئان و ریوایەتەکانی پێغەمبەر درووودی خوای لەسەر بێت. بەشی دووەم: ئاراستەکانی ڕاڤەکارانی لە پشتبەستن بە گێڕانەوەکان و کاریگەریی ژینگەی فیکری و کۆمەڵایەتی بەسەریانەوە. بەشی سێیەم: بێتاوانیی حەوا و تۆمەتبارکردنی لەسەر بنەمای چوارچێوەی قورئان).

وشە سەرەکییەکان: حەوا، ئادەم، چیرۆکی ئادەمو حەوا، یەکەمین گوناھ، دەقی قورئان